

الأفغان.. والشتاء...!

تعودنا في السنوات الماضية نمطاً محدداً من إخواننا الأفغان وهم يقودون مسيرة الجهاد ضد المعتدين على بلادهم المهددين لمبادئهم، المنذرين بالخطر الداهم، الذي أراد الله له أن يصل إلى حدٍّ من التفكك والتفتت كما يتفتت الحجر، هذا النمط للمتابعين معروف، فعندما يحصل فصل الشتاء يكون هناك شبه توقف تام للعمليات الجهادية داخل أفغانستان بسبب حلول البرد والجليد، وهذا يعني أن يبقى المجاهدون في مراكزهم في الداخل أو عودة بعض منهم إلى أهلهم في المخيمات داخل الباكستان.

والذي يمر على المخيمات، ويقف على طريقة الحياة هناك يلحظ بوضوح عيشة الكفاف التي تعيشها الأرامل واليتامى والمعاقون والقاعدون عن القتال لظروفهم الخاصة. والمخيمات كانت في البداية خياماً متراسة غير واقية في الغالب من البرد أو الحر أو رشات المطر، وعندما بدا أن العمليات ستطرد وأن العودة إلى الديار ستستغرق وقتاً غير يسير بدأ اللاجئون/ المهاجرون ينون بيوتاً من الطين، تجتمع فيها أربع عائلات أحياناً، ومنافعهم مشتركة والصرف غير صحي، والأطفال يرتعون ببراءتهم في جو غير صحي، وفيهم من هم في أعمار الدراسة، ولكن ضيق ذات اليد يحول دون انخراطهم في المدارس مع أنهم هم الجيل القادم الذي سيدير أفغانستان، ويصعب على المرء أن يقبل أن تدار بلاد إسلامية مثل أفغانستان من قبل جيل تعرض للحرمان الغذائي والصحي والعلمي والثقافي مدة وصلت حتى الآن إلى ثلاثة عشر عاماً هي عمر الجهاد على أرض الأفغان.

ويعرف عن الأفغان عادات محلية يتمسكون بها ويصعب عليهم تركها

والتخلي عنها، وربما كان من هذه العادات عزوف النساء عن الزواج بعد فقد الزوج الأول بموت أو طلاق، وهذا يعني أن هناك أكثر من مليون أرملة أفغانية إذا افترضنا أن مليوناً من المليون وستمئة ألف من المحسوبين - إن شاء الله - من الشهداء كانوا متزوجين. وهذا يعني عبئاً كبيراً على هؤلاء النسوة، إذ عليهن البحث عن وسيلة العيش؛ إما في كنف الأهل أو الأقارب، وتأبى الأفغانية أن تمتد يدها للناس، ولذا كان لزاماً على هيئات الإغاثة مراعاة هذه الحالة والعمل على الإسهام في حلها من خلال البحث عن وسيلة عمل لهؤلاء الأرامل، وأظن أن لجنة الإغاثة السعودية المنبثقة عن الهيئة العامة لاستقبال التبرعات للمجاهدين الأفغان، قد أسهمت في رسم حل لهذه الحالة من خلال تكليف الأرامل بخياطة الفرش «المطارح» التي يستفيد منها المهاجرون والمجاهدون، وتقوم النساء بهذا العمل وهن في بيوتهن وتجلب لهن المواد الخام، ويعطين أجره على كل قطعة تنهيها الأرملة دون الإخلال بواجباتها المنزلية تجاه أبنائها أو أهلها أو أهل زوجها الراحل. وهذا العمل يساهم في التغلب على برد الشتاء، ولا أزعـم أن جهود اللجنة هذه كافية ولكنها على أية حال تساهم في هذا.

ومن المعلوم أن ولايات الحرب الأفغانية مع الشيوعيين قد خلفت مجموعة غير يسيرة من المعاقين ممن قد فقدوا أطرافاً لهم مما أعاقهم عن مواصلة الجهاد وحال دون قدرتهم على العمل بصورة فاعلة فكانوا في الوقت الراهن عبئاً على المجتمع الذي لا يجد عملاً للقادرين ناهيك عن المقعدين أو المعاقين، وهؤلاء يتأثرون من هذا الوضع في الصيف والشتاء، ولكنهم في الشتاء أكثر تأثراً حسيًا ونفسيًا في وقت واحد. وبخاصة أنهم يشعرون بأنهم ضحوا عالة على عملية مناهضة المعتدين عليهم وأنهم وكأنهم من المنسيين، وليس الحال كذلك على الإطلاق ولكنهم لا يملكون إلا أن يشعروا

بهذا الشعور دون سماع كلمات التعاطف والربت على الأكتاف .

إن هؤلاء جميعًا يعدون بالملايين في أرض غير أرضهم وتحت إدارة غير إدارتهم هي لم تقصر معهم بحال ولكن لسان حالهم يقول :

بلادي وإن جارت عليَّ عزيزة وأهلي وإن ضنوا عليَّ كرام

وهؤلاء جميعًا يعيشون على بركة من الله تعالى ثم على دعم إخوان لهم في كل مكان من أرض المسلمين ومن هذا البلد الطيب المعطاء الباذل على المستوى الرسمي والشعبي ، ولذا فإن عزاءهم في محتتهم هذه أنهم وجدوا من يفهم وضعهم ويتصرف معهم بموجب هذا الفهم في وقت يتصرف فيه الآخرون بموجب ما يحصلون عليه من فوائد تدخل أحيانًا في الجانب العقدي حينما تعتمد بعض هيئات الإغاثة العالمية إلى محاولة تنصير ذوي الحاجة بما تقدمه من طعام وكساء وعلاج على عادة هذه الهيئات في كل مكان .

إن هذه البلاد لا تمنّ على الآخرين بما يبذله أبناؤها ؛ لأن هذا جزء من منطلقاتهم الدينية التي تؤكد لهم دائمًا أنهم مؤتمنون على المال الذي توافر في أيديهم ، فإن هم بذلوا منه في وجوه الخير زاد بين أيديهم ، وإن هم أمسكوا وأحجموا عن الإنفاق تلف ما بين أيديهم ، ولذا يأتي البذل محاطًا بالكتمان فلا يعلم منه إلا القليل .

وهذه المواقف المادية والمعنوية تهوّن على الأفغان شتاءهم في برده القارس القارص ، وتهوّن على الأيتام يُتمهم عندما يجدون من يكفلهم ويهيئ لهم الجو العائلي المناسب ، وتهوّن على الأرامل تعاملهن مع الحياة حينما يدركن أنهن لم يفقدن العشير ، فقد أبدلهن الله بأكثر من عشير ، إخوة إيمانية لا جزاء لها إلا الأجر من الله تعالى . وتهوّن على المعاق إعاقته عندما يشعر أنه إنما فقد جزءًا من جسمه في سبيل الله في وقت يتمنى فيه الآخرون أن يفقدوا

حياتهم كلها في سبيل الله .

لقد زرت حبييًّا في المستشفى العسكري في الرياض فوجدت أحد المرضى الأفغان وهو يمشي على العكازات ، وقد خرج من الهواء الطلق فلوحت له يدي مسلمًا من بعد ، فكم كانت سعادته حينما واجهه مثل هذا الموقف مشعرًا إياه بنبل ما أقدم عليه ، وأنه ليس وحده في الميدان ، بل هناك الداعمون له من بعيد بالدعاء أولاً ثم بالبذل ثانيًا ، فليستمر هذا الدعم طمعًا في تخفيف حدة الشتاء على الأفغان ، زادكم الله دفئًا على دفء ، وكان الله في عون الجميع .